لسان الجسد الضعيف ، وأخرس لسان الروح النشيط ؟

« ايلي ايلي ! لما شبقتني ؟ » ــ صرخة قذفها الألم ؛ صرخة التراب تفارقه الروح التي قدسته باختيارها إياه مسكناً ثلاثة وثلاثين عاماً . صرخة موجعة عقبتها سكتة مؤنسة . فكأن الروح النشيط الواقف على باب الأبدية خجل من ضعف هيكله الترابي فانتهره ، فعادت إلى التراب هيبة الفصول وطمأنينة الأرض .

هوذا الوجه المخدَّد بالوجع ، والمقنَّع بالدم والبصاق ، والمكوي بأشعة الشمس ينبسط لمحة فلمحة . ها هي الأجفان المثقلة بالأهداب الذهبية تنفرج عن العينين الذابلتين . والحاجبان المقطبان يتباعدان . والجبين النبيل المخدش بالأشواك يشرق بنور من فوق . حتى كأن صاحب الوجه ليس مسمَّراً بيديه ورجليه على صليب . ولم يُطعن في جنبه بحربة . ولم يُسقَ الخلّ بدلاً من الماء . ولم يحمل صليبه إلى الجلجثة . ولم يُلبسه صالبوه جبةً أرجوانية ، ويضعوا في يده عصاً ويهزأوا به قائلين : « السلام يا ملك اليهود » . ولم يُسلّمه تلميذ من تلاميذه وينكره الثاني ويهجره الآخرون . ولم يرفضه العالم كنبي كاذب ويعلّقه على خشبة كمجرم . ولم يهتف منذ لحظات قليلة هتافه المفجع « ايلي ! ايلي ! » .

حبذا هذا الوجه المجبول من التراب ، وكأنّه ليس من